اورانيوس انطونينوس الحمصي

امبراطور روماني من المدينة المجاورة لتدمر والعملة التي سكها*

هانس رولاند بالدوس

لجنة التاريخ القديم والكتابات - ميونيخ - ألمانيا

ترجمة: هزار عمران

كان طريق التجارة المباشر بين تدمر وسواحل المتوسط يمر بايميسا (حمص الحالية) المجاورة لها، الواقعة على حافة البادية ثم عبر وادي العاصي، وقد اشتهرت حمص بعبادتها لإله الشمس سول ايلاجبل، ولأن عدداً من الأباطرة الرومان من السلالة السيفيرية في القرن الثالث الميلادي ينحدرون من العائلة الكهنوتية آل شمسيغرام ولقد أشار سيريغ[1] من قبل الى أن هناك علاقات تاريخية متبادلة بين المدينتين، كما ساعد استلام الامبراطور الروماني اورانيوس انطونينوس مقاليد السلطة وإقامته في حمص على امكانية المقارنة بين المدينتين المتجاورتين. والمصدر الوحيد لحكم هذا الامبراطور هو النقود التي سكها باسمه[2]. والمعروف منها متفرق حالياً في أنحاء مختلفة من العالم، وأعطت هذه النقود على الرغم من صغر حجمها، معلومات هامة، لم تكن معروفة سابقاً، عن حضارة المدينة المجاورة لتدمر، الأمر الذي يؤكد من جديد أهمية النميات كمصدر مهم لدراسة التاريخ.

١- عملة المدينة (لوح ١، ١-٤):

سكت معمّرة حمص عملة برونزية مشابهة للسيستيريات (Sestertii) الرومانية، تمجد الامبراطور وتحمل على وجهها صورته[3]، وقد دعي هذا الإمبراطور في اليونانية باسم سلبيسيوس انتونينوس فقط، مع اللقب المعتاد اوتوقراطور و سيباستوس، وعلى ظهر تلك النقود مشاهد متنوعة لمعبد إله الشمس الرئيسي، يظهر فيها نصبه قائماً داخل المبنى (الشكل ٣- ٤)، ونجد قطعاً مماثلة سكت في عهد كركلا وايلاجبل، إلا أن أهمية قطع اورانيوس تكمن في أنها تستعمل التأريخ السلوقي، (عام ٥٦٥)، وهو يقابل عامي ٢٥٣ و٢٥٤ بتأريخنا الميلادي، وباعتقادي أنها سكت في خريف عام ٢٥٣ بمناسبة العام الجديد، وهذا يعطينا تأريخاً مؤكداً للفترة التي حكم فيها هذا الإمبراطور الذي لم يرد اسمه في أي نص مكتوب لوجود نقص في المراجع التاريخية القديمة في منتصف القرن الثالث، فهذه الفترة تتصف بازدياد توتر العلاقات بين الإمبراطورية الرومانية والفارسية الساسانية تحت حكم سابور الأول، وربما كان لوصول اورانيوس للسلطة علاقة بتهديد الإمبراطورية من الجانب الآخر من الفرات، تماماً كما حصل قبل عقدين من الزمن في حالة وهب اللات في تدمر.

٢- الدراهم الرباعية (الترادراخم السورية):

آ- الترادراخمات ذات النسر (لوح- ١، ٥-١٠):

استعمل في سورية، حتى نهاية عام ٢٥٣، نوعان مختلفان من العملات الفضية الإمبراطورية من فئة الدينار المزدوج الانطونياني والمأثورات عليه باللاتينية، ومن فئة الدراهم الرباعية وعليها المأثورات بالاغريقية. وقد سك اورانيوس انتونينوس النوع الثاني

في حمص وحدها على غير ما جرت به العادة من سكها في أنطاكية، وقد كانت هذه العملة في مجموعتين تحمل كلتاهما شكل النسر الامبراطوري على ظهرها، وفيها شكلان من الالقاب الامبراطورية، وتميزت المجموعة الأولى (٥) بأنها كانت، مثل نقود فيليب العربي، تحمل اسم مكان السك (حمص)، في حين سكت المجموعة الثانية (٦)، على ما اعتقد، في دائرة ثانية من دار السك نفسها، تؤرخ في عهد القنصلية الثانية لتريبونيوس غالوس عام ٢٥٢-٢٥٣. وقد حملت وجوه العملة نفس المأثورة في نقود المدينة الا أنها تميزت بتنوع الصور الشخصية للامبراطور سواء المكللة منها بالغار أو ذات التاج المشع، بعضها ذو أهمية لكونها تظهر توجهات الحكومة الأيديولوجية والسياسية، فالرأس ذو التاج المشع المحمول على نسر (٧) والجزء العلوي من الجسم ذو الهالة المشعة المتوجه الى اليسار الذي يُظهر جانب الامبراطور الأيمن يرفع يده اليمنى مباركاً أو مصلياً (٨) كان المقصود منها اظهار اورانيوس وكأنه يجسد اله الشمس في شخصه، كما تم اظهار صفاته العسكرية بتمثيله بشكل نصفي متجهاً نحو اليسار وهو مدرع، وبصورة تمثله متمنطقاً بحمالة سيف على صدره (٩)، كما يمثله أحدها (١٠) بشكل مشابه للاسكندر الأكبر وقد عاد منتصراً من القتال، حاملاً رمحاً فوق كتفه، ودرعاً مزيناً بإلهة النصر المجنحة، ويمكن أن نجد صوراً نصفية مماثلة على «تيترادراخم» كركلا وفيليب العربي في حالات الحروب أو التوتر بين الشرق والغرب، وربما كان الأمر كذلك بالنسبة لاورانيوس.

ب ـ التيترادراخم المعدّل (لوح ١، ١١-١٨):

أوقفت حكومة روما المركزية في عام ٢٥٣، في عهد فاليريان وغاليان، سك التترادراخم ذي القيمة المنخفضة. ومنذ ذلك الوقت، لم تسك سوى العملات الانطونينية (ذات المأثورات اللاتينية والوجوه الخلفية المتنوعة) في العاصمة السورية، واضطر اورانيوس، بسبب ذلك، الى تغيير عملته الحمصية الفضية، وبدّل العملة ذات الدينار المزدوج التي كانت متداولة في كامل الامبراطورية، وسك تترادراخم جديد، وهكذا جمع بين النطاق الضيق الذي كان التترادراخم السوري القديم ذو الكتابات الاغريقية متداولاً فيه من جانب وبين الصور الموجودة على الوجوه الخلفية للنقود الانطونيانية المستعملة للدعاية من جانب آخر، وبهذه السياسة ظهر الدافع لاظهار السلطة لأول مرة الذي وجد مثيلاً له فيما بعد في عهد أذينة التدمري ووهب اللات (قبل أن يتخذ لقب الاوغسطوس)، وقد أضيف على هذا التترادراخم المركب كلمة سيفيروس (١١) الى كلمتي سلبيسيوس انطونينوس الموجودتين على التترادراخم ذي النسر. وهنا تظهر العلاقة مع كركلا وايلاجبل والكسندر سيفيروس، فمن الجائز أن اورانيوس كان يمت بصلة قرابة الى الفرع الحمصي من السلالة السيفيرية حيث كان يعتمر تاجاً مشعاً.

بقي استعمال المأثورات نفسها على الوجوه الخلفية للعملة كما في التترادراخم السابق، الا أنه تنوع وفقاً لنظرة آلامبراطور السياسية والدينية: ففكتوريا ربة النصر (١٢) تدل على رغبة الامبراطور بالانتصار ومونيتا مع الميزان وقرن السعادة (١٣) تدل على اهتمام الامبراطور بالعملة الصالحة، وأما فورتونا ربة الحظ (١٤) فهي تدل على أن الامبراطور كان غائباً عن حمص لفترة، ربما بسبب الحرب، وتيكه/فورتونا (١٥) ربة الحظ السعيد كانت ملائمة لكل الأباطرة، وهي في هذه الحالة، مع قرن السعادة الذي تحمله والدفة، قد تعني اترغاتيس إلهة الخصب والقدر السورية كما سيظهر واضحاً في النقود الفضية. وأما العضوان الآخران في الثالوث الالهي الحمصي فيظهران دون شك وهما اثينا/اللات (١٦) وتمثل جالسة متكئة بذراعها الأيسر على ظهر كرسيها، واله الشمس (١٧) الممثل بجزع شاب ذي هالة فوق هلال. وكلا الرسمين يمكن مقارنتهما بالنقوش التدمرية البارزة رغم ظهورهما بالوضع الجانبي، وينطبق الأمر نفسه على الرسم الخاص بالجمل العربي (١٨) ذي السرج واللجام، وبرأيي، لا وجود لأية علاقة مع الطراز الخاص بتجارة القوافل أو المواكب الدينية، بل يبدو وكأنه يدل على هجانة الامبراطور الذين كانوا ـ على عكس وحدات الصحراء الخاصة التدمرية ـ يستخدمون الجمال بتجهيزات خفيفة، ويمكن أن

يكون المقصود هو الرب ارصو معبود أولئك الهجانة، لكن، اذا كانت النقود قد سكت تمجيداً له، فلا شك أن صورة اريس رب الحرب كان يجب أن تظهر وذلك مقارنة مع باقي النقود.

٣ـ النقود الذهبية (شكل ٢، ١٩-٣٣):

سك اورانيوس النقود الذهبية الرومانية ذات المأثوزات اللاتينية على طراز ڤولوسيانوس غالوس (٢٥١-٣)، في دار السك بحمص. أما مصدر هذه الثروة الكبيرة من الذهب (والفضة) فيمكن أن يكون كنوز معبد الرب سول، وقد صورت وجوه العملات (١٩-٢٢) جذع الامبراطور مكللاً بالغار ومرتدياً درعاً ووشاح السلطة، وتظهر الصور تنوعاً كبيراً في النماذج واقتراباً من ملامح وجه الامبراطور، وبالمقارنة مع صوره على فئات أخرى يظهر أن النقود الذهبية سكت في بدايات عمليات السك. وتمثل احدى صوره، وهي من قالب وحيد، جذع الامبراطور متجهاً الى اليسار. وقد استعملت لوقت طويل رغم ظهور بعض التشوهات خلال عملية السك، وقد يكون الاستعمال الطويل للقالب هو سبب عدم ظهور اسم سيفيروس على النقود الذهبية، رغم ظهوره على النقود الفضية اللاحقة. وهناك سبب آخر، على ما اعتقد، لشعبية هذا النموذج، هو ظهور جانب وجه الامبراطور الأيمن وقد ارتفع بحركة شكروشخصت نظرته الى السماء، وهكذا تم تكريس اورانيوس كاسكندر جديد أو بمعنى آخر كمنتصر على الفرس تماماً مثل كركلا والأباطرة اللاحقين.

تسمي الكتابات عادة الامبراطور باسم لوسيوس يوليوس اوريليوس سبليسيوس أورانيوس انطونينوس، وتظهر القوالب كلها علامات على صعوبة كتابة لاتينية صحيحة، وهناك بعض النقاط المهمة تستحق التوقف عندها.

آ ـ استخدم الامبراطور كنية مزدوجة يوليوس اوريليوس، لعلها اشتقت من عائلة أمه. وقد ظهر الاسم نفسه عند الملكين أذينة ووهب اللات.

ب ـ يدل الاسم اورانيوس على حماية الآلهة في السماء وهو، كاسم سيفيروس وانتونينوس، ذو دلالة سياسية، كما يبدو أن مثل هذه الأسماء كانت تعطي بعد تكليل الامبراطور بالغار وهكذا يحصل على اسم آخر قد يكون محلياً، كباقي أفراد السلالة السيفيرية.

ج ـ لم يستخدم اورانيوس أياً من الألقاب الامبراطورية (امبراطور ـ قيصر ـ اوغسطوس) على هذه النقود الذهبية القادرة على الانتشار في كامل المملكة، وهنا يبدو أن سك النقود الذهبية واتخاذ لقب امبراطوري لم يكونا مترافقين بالنسبة للحكومة المركزية الرومانية بل أجبرت عليها لسبب أو لآخر تماماً مثل منح الحكومة المركزية بعض الألقاب الملكية الأقل شأناً من ألقاب أباطرة الغرب لكل من الملكين التدمريين أذينة ووهب اللات لقتالهم ضد سابور. ولما لم يكن في حمص مملكة محلية يمكن أن تكون قاعدة لنشاطات سياسية وعسكرية، قام اورانيوس بالدعاية لنفسه كامبراطور صغير على سورية أو، ربما، على منطقة أصغر رغم الامتيازات الامبراطورية وشعارها، ولذا لا يمكن اعتبار اغتصابه الحكم مشابهاً لما قام به ايلاجبل السابق له بمدة جيل ولأهداف ذلك النظام وهذا ما يطابق ملاحظاتنا السابقة الخاصة بابطال اورانيوس لسك النقود الانطونيانية.

لنفحص الآن الوجوه الخلفية للنقود الذهبية (اللوح ٢، ٢٢-٣٣)! فنجد أن الدعاية السياسية وعبادات حمص كانا أساس موضوعاتها، وهكذا لم يكن بالامكان تجنب العبارات المنتهية بلقب اوغستي أو ما شابهها بشكل مماثل للقب سباستوس على نقود اورانيوس الاغريقية. ونجد من ضمن النقود ذات الأساس السياسي في بداية الحكم ما يلي: رومي ايترني (٢٢) (أي الولاء لروما) وسبيس ڤيكتريكس (٢٣) غير عادي يمكن أن يدل على التنبؤ بصراعات، وأما توقع أحداث عسكرية فتدل عليه ڤيكتوريا اوغستي (٢٤) المعروفة سابقاً في التترادراخم، ثم ظهرت فورتونا رودكس (٢٥) المشابهة لتلك الموجودة على النقود الفضية ويمكن أن تؤخذ كدليل على غياب اورانيوس عن حمص لفترة من الزمن. ثم ظهرت أشكال تدل على نصر حقيقي حيث تبدو

فيكتوريا الاوغستية (٢٦) بشكل آخر و قاعدة تمثال وحولها مأثورة سيكولاريس اوغوستورم (المقتبسة من نقود فيليب العربي) والتي تدل على بداية عهد جديد (٢٧)، وبظهور الأسد - الشمس (٢٨) - على طراز كركلا - اتضح العدو المهزوم إذ تمجد هذه الصور الامبراطورين كخليفتين للاسكندر[٣]. فلا شك أن اورانيوس قد انتصر على الجيش الفارسي) وهكذا وضع اورانيوس جميع مشاريعه تحت حماية آلهة حمص، وقد كان أحدالمقترنين بإله الشمس المعروف سابقاً في النقود الفضية، أثينا - اللات التي دعيت باسم « مينرڤا المنتصرة » (٢٩) هنا، ويمكن مقارنتها بالمنحوتات التدمرية التي فضلت التصوير من الوجه الأمامي، ففي حمص ارتدت الخوذة الهيلينستية نفسها وحملت درقة الهجانة وكما في حالة العديد من التترادراخم تمثل فورتونا (٣٠) وكأنها القرينة الثانية لسول : أي اترغاتيس وهي « افروديت » في مصادرنا، فالالهة تصور وحولها مأثورة فيكويديتاس اوغستي أي مانحة الخصب وفي أحيان أخرى بشكل أبسط، ويبقى العضو الأخير في الثالوث ناقصاً في نقود اورانيوس.

يمثل اله الشمس الحمصي الذي كان خليطاً من الرب شمش العربي وإله جبلي سوري مشابه لحدد، بأشكال عديدة، وهو خاص بحمص رغم أن عبادة الأنصاب (منازل الآلهة) ومواكب الاله في بعض الاحتفالات الخاصة كانت معروفة في تدمر. ويحمل نموذجٌ فريدٌ (٣١) (توجد عينة منه في متحف دمشق) الاسمَ الرسمي سول ايلاغابالوس حيث يصور الحجر النيزكي المخروطي الأسود داخل قدس الأقداس بالمعبد محاطاً بمظلات وشمعدانات وأمام قاعدته حوضٌ قد يكون هو أو محتوياته تقدمة للاله، كما يوجد نموذج آخر (٣٢) يمثل الحجر وقد كُسي بغطاء خلال احتفال صيفي كما اعتقد، وهو مزين بالمجوهرات، وبقممه العديدة يشبه تاجاً ارمنياً، ورغم أنه مغطى إلا أننا نعرفه بسبب قاعدته واحاطته بالمظلات وبسبب الكلمات حوله، كما يمكن قراءة نفس التعبير « حامي الامبراطور » على نموذج ثالث (٣٣) يشبه نقود ايلاجبل الذهبية حيث يمثل الحجر المقدس في احتفال آخر، وهو هذه المرة محمول على عربة تجرها أربعة خيول محاطاً بمظلتين، ونجد مثيلاً لهذا الموكب عند عبادة ايلاجيل الإله في روما، ويخبرنا هيروديانوس أنه، وخلال فترة الصيف من كل عام (ويمكن أن نضيف : في الشتاء أيضاً)[٤]، كان النصب ينتقل من المعبد الى معبد آخر، وهذا يمكن أن ينطبق على حالة حمص، فموكب اورانيوس كان بعد زيادة في مردود الذهب الامبراطوري والمنح الفضية[٥] والتي سكت بمناسبة العام الجديد على أساس تقويم تلك الفترة في خريف عام ٢٥٣، وفي هذه الحالة، يبدو أن النصب قد انتقل من مكان اقامته في فترة الانقلاب الشتوي.

كخاتمة لهذا البحث نورد أن الامبراطور اورانيوس انتونينوس وصل على ما يبدو الى السلطة في صيف عام ٢٥٣، ونحاه الامبراطور الشرقي الجديد ڤاليريان في حوالي ربيع أو صيف ٢٥٤ كما اعتقد، وتبدو جميع التفاصيل التي أوردتها عن ملكه ونقوده منطقية عندما نعرف أن اورانيوس سيفيروس انتونينوس كان يدعى شمسيغرام (أي هكذا شاء الرب شمس) وفي هذه الحالة يمكن مقارنته مع كاهن حمصي مزيف قيل أنه مرسل من عند الشمس والذي قيل عنه أنه أخذ المبادرة وهزم بقواته أو بجزء منها جنود الملك الفارسي بجوار حمص، ونجد في كتابات سابور في برسيبوليس أسماء مدن كثيرة شمال حمص احتلها هذا الأخير خلال حربه الثانية ضد روما، لكم لم تذكر حمص ولا مدن أخرى جنوبها، لذا لا بد أن هذا الهجوم المدمر من قبل سابور قد تم برأيي خلال عام ٢٥٣ عندما اعتلى اورانيوس عرش حمص، فلا يمكن لحدثين متشابهين أن يحصلا في نفس المكان خلال فترة قصيرة من الزمن، فقد حصل القتال الأول عام ٢٥٢ حيث نجد كتابات بسيطة في افاميا عن الجنود القتلى[٦]، ولكن لم يتم سك أي عملة باسم اورانيوس في تلك السنة، ثم حصل قتال لاحق أسقط دورا اوروبوس كما هو مثبت على النقود عام ٢٥٦م. لقد كانت تدمر كجزيرة وسط بحر هائج فلم تشترك في هذه الصراعات، إن القوافل قد تقوم بعبور الصحراء، لكن جيشاً كبيراً كجيش سابور كان يجب أن يدور حولها.

* راجع التعليقات والمراجع والصور في البحث الأصلي بالقسم الأجنبي.